عنوان البحث:

الحضارات الإنسانية من خلال

هدايات القصص القرآني

اسم الباحث/ـة

د/ آمنة توري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسله منشئي الحضارات الإنسانية الراقية، وأتم الصلاة والتسليم على من كملت ببعثته الأسس الحضارية، محمد النبي العربي الذي اصطفاه الله لتبليغ رسالته للناس جميعًا، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ الحضارة في القرآن الكريم تنطلق من خلال أسس وقواعد ثابتة رصينة امتدت عبر ملايين السنين. فمنذ أن أهبط الله أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام إلى الأرض، بدأت قصة الحضارة، التي جعل الله ربطها بهداه سبيلا لسعادة الدارين، فقد قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [سورة طه، الآية: ١٢٣]، وعلى مرّ العصور أرسل الله رسلاً كثيرون لهداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم الذي يكتمل به أسس الحضارات الراقية، إلى أن جاء الإسلام بحضارة القرآن، التي أصبحت مهدا للحضارات الإنسانية جمعاء؛ لكونها تتميز بخصائص كثيرة، وتشمل جميع أشكال الرقي والتقدم، سواء الفكري أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الفني أو الأدبي وغير ذلك.

ولما كانت الحضارات للأمم السابقة قبل الإسلام تنتج عبر مجموعة الأفكار والعقائد والتقاليد والعوامل النفسية المهيمنة عليها، كحضارة عاد، وحضارة ثمود، والحضارة الفرعونية، والحضارة السبئية، لم يكتب لهذه الحضارات البقاء كما قصَّ ذلك علينا القرآن الكريم، وذلك بسبب عدم شمولها لجميع حاجات الحياة الإنسانية، خصوصا الروحية والفكرية التي تحرر الإنسانية من رق المادة والهوى وعبادة الشيطان، وتسمو به إلى ملكوت السماوات والأرض، وتوحيد العبادة لخالق الكون الذي بيده الخير والنفع والعطاء ومصالح الإنسانية جمعاء.

ولأجل الموقع الجغرافي المميز للمملكة العربية السعودية، فإنّ جهودها العظيمة بارزة في بناء الحضارة الإنسانية الراقية، وذلك من خلال دعم المعرفة الإنسانية على ضوء الهدي القرآني في العالم، والذي هو أساس ودستور لكل الحضارات الإنسانية المثالية، القائمة على المنهج الإلهي السديد، الذي يعمر الأرض بعبادة الله وحده، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وتأتي فكرة هذا البحث المتواضع من خلال مؤتمر علمي دولي يقام في المملكة العربية السعودية؛ لهدف تعزيز دور المؤسسات القرآنية، في تحقيق هدى القرآن الكريم من خلال منهجية تفكير احترافية، وتمكينها من أدوات التأثير، وفي هذا البحث سيتم اختيار المحور السادس من محاور هذا المؤتمر، وهو: (**الحضارات الإنسانية من خلال هدايات القصص القرآني**).

وسيتم فيه عرض نماذج من الحضارات الغابرة التي قصها علينا القرآن الكريم، وأسباب انهيار معظم هذه الحضارات العظيمة، وبيان الهدي القرآني في بناء الإنسان الحضاري، وبالله التوفيق.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع في كونها توضح وتُقرِّر للإنسان أنّ كل حضارة إنسانية لا تستند إلى الوحي الإلهي تُعدُّ حضارة زائفة زائلة لا يكتب لها البقاء، ومن هذه الحضارات حضارة العصر الحديث القائم على التكنولوجيا المتطورة، مالم تُربط بالهدى القرآني.

الهدف من الموضوع:

إظهار أهمية ربط الحضارة الإنسانية بالمنهج الصحيح والمناسب للإنسان، وهو المنهج النابع من مهمته على الأرض، في إعمارها بشريعة الله ومنهاجه الذي بعث به رسله عليهم السلام.

أسباب اختيار الموضوع:

- محبة الاستزادة من العلم الشرعي من خلال البحث والاطلاع.
- تحقيق المشاركة في خدمة كتاب الله تعالى، والمساهمة في نفع المسلمين.

حدود البحث:

ستكون الدراسة التطبيقية في هذا البحث من خلال عرض نماذج لحضارات غابرة في ضمن قصص ذكرها القرآن، وأسباب زوال هذه الحضارات، وبيان الحضارة القرآنية الخالدة إلى قيام الساعة، لقيامها على وحدانية الله وعبادته، والذي هو الهدف الأسمى من وجود الإنسان على الأرض.

منهج البحث:

سيتبع هذا البحث المنهج الوصفي التاريخي الذي يصف الحضارات الغابرة المذكورة في القرآن، ويبين أسباب زوالها، وانحلالها، ويصف منهج القرآن في بنائه للإنسان الحضاري، للتوصل بذلك إلى معرفة الطريق الصحيح لخلود الحضارات الإنسانية عبر الأزمان، والله الموفق.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد ومبحثين وخاتمة

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدوده، والمنهج المتبع في البحث، وخطة البحث.

التمهيد، وفيه: بيان لمعنى الحضارة الإنسانية ومفهومها.

المبحث الأول: وفيه: ذكر نماذج من الحضارات الإنسانية المذكورة في القصص القرآنية، وعوامل انهيارها.

المبحث الثاني: وفيه: كيفية بناء القرآن للإنسان الحضاري

الخاتمة وفيها: نتائج البحث وتوصياتها.

فهرس المصادر والمراجع.

واللهَ أسألُه التوفيق والسداد.

التمهيد

إنّ جملة الحضارات الإنسانية هي مركبة من كلمتين لا غنى لأحدهما عن الآخر؛ لأنّ الحضارة مختصة بالجنس الإنساني، وابتداءها من هبوط آدم عليه السلام وزوجته حواء إلى الأرض، ولم يقص الله تعالى علينا خبراً لحضارات أخرى لغير البشر؛ لأنّه تعالى فضل بني آدم على جميع الكائنات على وجه الأرض، وجميعها تابعة للإنسان في النظم الفطرية التي فطر الله عليها أنواع المخلوقات، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٠]، أي: بِتَسْلِيطِنَا إِيَّاهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ، وَتْسخِيرِنَا سَائِرَ الْخَلْقِ لَهُمْ.(١)

ولما كانت عمارة الأرض وبنيانها خاصة بالإنسان، باعتباره من مهماته الأساسية على وجه الأرض، كان لابد للإنسان من قيامه بهذه المهمة الموكلة إليه، سواء كان ذلك على المنهج الذي يحبه الله ويرضاه، أو خلافه، فلا تكاد تخلو منطقة جغرافية على وجه الأرض من آثار الحضارات المختلفة التي عاشت

عليها، كما نرى آثاراً واضحة للحضارات الفرعونية، والحضارات الإسلامية في العديد من البقاع الأرضية، ولأجل اختلاف الناس في مفهوم الحضارة يمكن أن أستعرض في هذا المقام مفهوم الحضارة الإنسانية في اللغة،

وذلك على النحو التالي:

أولاً: الحضارات لغة: جمع حضارة، وهي مصدر (حضر) ومعناها: خلافُ البَدْو، أي سكون المدن، فالحاضِرة خلاف البادية لأن أهل الحاضرة حَضَروا الأمصارَ والديار،(٢) والحضارة تذكر بفتح الحاء أو كسرها، وحين تُذكر في اللغة فإنه يقصد بها ما هو عكس البداوة كما يقول الشاعر:

فَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ ... فَأَيَّ رِجَالِ بَادِيَةٍ تَرَانَا(٣)

وقد استعملت كلمة (حضر) في القرآن بمعنى شهادة مكان أو إنسان أو نحو ذلك،

كما قال تعالى: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٦٨].

والإنسانية في اللغة: مصدر (إنسان) وهو مشتق من النسيان، وأصله إِنْسِيَانٌ،

ودَليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٤٩]. (٤)

ويقال سمي ابن آدم بالإنسان لكثرة نسيانه، أو لأنّ الله عهد إلى آدم عليه السلام فنسي،(٥)

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [سورة طه، الآية: ١١٥].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ١٥/٥.

(٢) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ٣/ ١٠١-١٠٢.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس، ٢/ ٧٦.

(٤) ينظر: المحيط في اللغة لإسماعيل بن عباد المشهور بالصاحب بن عباد، ٢٧٨/٢.

(٥) ينظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي، ٦/ ١٨٣٤.

ثانياً: معنى الحضارات الإنسانية في الاصطلاح:

إنّ المعنى الاصطلاحي للحضارة الإنسانية له صلة وطيدة بالمعنى اللغوي ولذلك وردت تعريفات كثيرة للحضارة كلها متشابهة ومقاربة للمعنى اللغوي، ولكن بسبب تنوعها وكثرتها تنوعت من خلالها دلالات الحضارة ومقاصدها، فمن العلماء من جعل الحضارة ناشئة عن التقدم في الجانب الفكري العلمي، كما يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله: (ومعلوم أنّ الكتابة والقراءة وإمحاء الأميّة في أيّة أمّة، رهين بخروجها من عهد السّذاجة والبساطة إلى عهد المدنية والحضارة).(١)

ومنهم من خصها بالجانب المادي فقط كمظاهر الرفاهية والراحة في المباني والعمران، والحياة السهلة الناشئة عن كثرة الصناعة والتفنن فيها، كما يقول ابن خلدون رحمه الله: (والحضارة إنّما هي تفنّن في التّرف، وإحكام الصّنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه، من المطابخ، والملابس، والمباني، والفرش، والأبنية، وسائر عوائد المنزل وأحواله).(٢)

ومن المفكرين الأوروبين من زاد في تعريفها الجانب الاجتماعي والجانب السياسي، كما يقول ول ديورانت: (الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون).(٣)

وبناء على ما سبق يمكن أن نقول: إنّ الحضارة الإنسانية في الاصطلاح تتضمن جوانب عديدة:

فمنها الجانب المعنوي المتمثل في الثقافة الفكرية والروحية التي تعنى بالقيم الثابتة والمبادئ الراسخة، والعقائد الصحيحة،

ومنها الجانب المادي التي تعنى بعمارة الأرض وتسهيل الحياة المعيشية، كالصناعة والتجارة والزراعة والمباني وغيرها.

ومنها الجانب السياسي الذي يخدم المجتمع بتنظيمه، وجلب المصالح له ودرء المفاسد عنه، ومنها الجانب الاجتماعي الذي يعتني بعلاقة الأفراد، والجماعات، ويهذب أخلاقياتهم، وعاداتهم وسلوكياتهم.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ١/ ٢٨.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ١/ ٢١٦.

(٣) قصة الحضارة لوِل ديورانت، ١/ ٣.

المبحث الأول: نماذج من الحضارات الإنسانية المذكورة في القصص القرآنية، وعوامل انهيارها

لقد استعمل القرآن الكريم أسلوب القصص وجعلها من أساليب التربية والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ وذلك لما للقصص من مكانة في نفوس الناس على اختلاف بيئاتهم ومجتمعاتهم، كما أنه وسيلة فعالة من وسائل التأثير على الرأي العام، ولذلك جاءت نصوص كثيرة في القرآن تتحدث عن أحوال كثير من الأمم السابقة، وتبين عوامل قيام حضاراتهم وعوامل انهيارها.

وكذلك تشير إلى البناء المادي والحضاري لتلك الأمم، وتبرز ما كانوا عليه من الرقي والتقدم والازدهار، وحياة البذخ والترف التي جرتهم إلى ارتكاب المعاصي والذنوب والفساد والظلم، فاستحقوا بذلك عذاب الله، وأصبحوا أثرا بعد عين.

وقد حثنا الله عز وجل على الاعتبار بهذه القصص، وجعلها وسيلة من وسائل التصديق بهذا القرآن، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١١١].

والقرآن الكريم عرض لنا حضارات الأمم السابقة على نوعين، هما:

الأول: نماذج حضارية يجب الاقتداء بها، والانتفاع من هدايات قصصها.

الثاني: نماذج حضارية يجب الابتعاد عن سيرتها، والاتعاظ بمصيرها من خلال هدايات قصصها.

ويمكن أن أعرض في هذا المبحث هذين النوعين بشكل موجز، ثم أبين عوامل انهيار أغلب تلك الحضارات، في ضوء الهدى القرآني، وبالله التوفيق.

المطلب الأول: أبرز النماذج الحضارية التي يجب الاقتداء بها، والانتفاع من هدايات قصصها:

هناك نماذج حضارية مثالية راقية قامت على توحيد الله والإيمان به، ومحاربة الشرك والكفر والفساد والظلم، وعمارة الأرض، والعمل بمقومات الاستخلاف فيها، ويمكن أن أستعرض في هذا الموضع لنموذجين فقط من هذه النماذج؛ وذلك لملائمة حجم البحث، وهما فيما يلي:

أ–حضارة عهد يوسف عليه السلام:

لن أتعرض في هذا المقام لما مر به النبي يوسف عليه السلام من البؤس والمحن في طفولته وشبابه؛ لأننا بصدد استعراض الحضارة الإنسانية في عهده عليه السلام، وذلك يبدأ من حين خروجه من السجن حتى قدوم أبويه عليه، **ومن هدايات قصته المتعلقة ببناء الإنسان الحضاري، ما يلي:**

١–أنّ الصبر سبيل النجاح، فما عاناه يوسف في صغره من ظلم إخوته، وفي شبابه من السجن، كان سبباً في بلوغه منزلة الملك والرفعة بعد ذلك، كما قال تعالى حاكيا عنه: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٩٠].

٢–للإنسان عدم التطلع إلى المراتب العليا قبل أن تتكامل لديه الأسباب، كما تأنى يوسف عليه السلام ولم يخرج من السجن قبل التحقق من براءته، فقال: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ

إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٥٠]، يقول ابن عطية رحمه الله: (وكان هذا الفعل من يوسف عليه السلام أناة، وصبرا، وطلبا، لبراءة الساحة).(١)

٣-يمكن للإنسان أن يتصدى للمكانة المرموقة التي هو أهل لها وإبراز قدراته المهنية في ذلك، خصوصا عند تفشي الظلم وفساد الناس، كما هو الحال في عصرنا،(٢)

وذلك من قوله: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٥٥]، وفي ذلك يقول الجصاص رحمه الله: (وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ جَائِزٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ بِالْفَضْلِ عِنْدَ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ الْمَحْظُورِ مِنْ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة النجم، الآية: ٣٢]).(٣)

٤-القرآن يعلمنا من قصة يوسف عليه السلام أهم الصفات الواجب توفرها في وزير المالية، وهي: الأمانة، والعلم: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٥٥]،

يقول ابن جزي رحمه الله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان تعمان وجوه المعرفة والضبط للخزائن).(٤)

٥-من سمات الحضارة الراقية، احترام حقوق الإنسان، ومنها: الأمانة في المعاملات التجارية: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٥٩]، وإكرام الضيف: ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٥٩].

٦-تحضُّر الإنسان وتقدمه في حياته المعيشية يقوم على أساس التوكل على الله والأخذ بالأسباب، فانظر في وصية يعقوب عليه السلام لأولاده لما خاف عليهم من العين(٥): ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٦٧].

٧-يمكن سياسة التعذيب النفسي للظالم حتى يدرك فداحة فعلته، ويظهر ذلك في قصة يوسف عليه السلام لما ضيّق الخناق على إخوته حتى يأتوا بأخيه الصغير، وقيامه بسياسة إبقاء أخيه عنده حتى يفصح لهم عن نفسه، ويكون توبتهم حينها بعد الاستسلام التام بتفضيل الله له عليهم، ولذلك قال لهم في نهاية الأمر: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٨٩-٩٠].

٨-من وسائل الدعوة للحاكم تعريف الظالم بسنة الله مع المستضعفين الصابرين، حتى يتعظ ويبتعد عن الظلم، يقول تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٩٠].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ٣/ ٢٥٢.

(٢) قانون التأويل لابن العربي، ١/ ٩٢.

(٣) أحكام القرآن للجصاص، ٣/ ٢٢٥.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ١/ ٣٩٠.

(٥) ينظر: حجج القرآن، لأحمد بن محمد الرازيّ الحنفي، ١/ ٦٤.

٩-الإنسان الحضاري يشكر والديه ويبرهما في الكبر، ولو بلغ ما بلغ من المنزلة والرفعة، كما فعل يوسف عليه السلام بأبويه: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ [سورة يوسف، الآية: ٩٩-١٠٠].

١٠-شكر الله والاعتراف بجميله مع كل واقعة من سمات الإنسان الحضاري، يقول تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٠-١٠١].

وعموماً فإنّ قصة يوسف عليه السلام في حياته السياسية تبرز لنا كثيراً من جوانب الحضارة السياسية الحميدة التي تقوم عليها الدولة، ويسير عليها الإنسان السياسي، كالحيلة والمكر دون أن يخالطها ظلمٌ أو نحوه، وكذلك كيفية الخطاب السياسي مع العامة، التي منها: استخدام الوسائل الإعلامية: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٧٠].والتعريض دون التخصيص: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٧٠].وبذل المكافأة لمن جاء بالمسروق أو السارق: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٧٢].ووجوب أخذ الضمان في الأمور المهمة: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٧٢].(١)

ب-حضارة عهد سليمان عليه السلام:

إنّ قصة سيدنا سليمان عليه السلام هي من أقوى الدلائل على ولادة الحضارة من خلال تفاعل الإنسان مع الكون والحياة، فقد نشأت الحضارة في عهده عليه السلام من خلال تفاعل جميع المخلوقات الكونية معه، كالإنسان، والحيوانات، والجن، والريح، والجبال، كما وُهب فوق كل هذا المُلكِ العظيم، التذللَ والخضوعَ لله سبحانه وتعالى، وكان هذا الملك العظيم، والحضارة المثالية، إرثاً من والده داود عليه السلام، ولذلك فالحضارة في عهده خير مثال يُحتذى به في صنع الحضارة الإنسانية الراقية، يقول الله تعالى عنه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٥-١٦]، ويجدر بنا أن نستعرض حضارة عهد سليمان عليه السلام كما قصها علينا القرآن الكريم، وما ترمي إليه قصة الحضارة في عهده من هدايات عظيمة يمكن **من خلالها بناء مجتمع حضاري سليم، فمن ذلك ما يلي:**

١-اتسمت الحضارة في عهد سليمان عليه السلام بالنهضة الواسعة، والتفوق المبهر والفريد، وذلك بسبب دعوته عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [سورة ص،

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ١٣/ ٢٦٩.

الآية: ٣٥]، ولذلك فالإنسان يطلب العون من الله في جميع أموره الحياتية من منصب، ومال، وولد، وزوج، وغير ذلك، ولا يقتصر في دعاء الله على الأمور الدينية فقط.

٢-في حضارة سليمان ووالده عليهما السلام يبرز شكر الله على نعمه، وهي من وسائل ثبات النعم: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٥]، وفي الأثر: (إِنَّ اللهَ لَمْ يُنْعِمْ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَحَمِدَ اللهَ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ حَمْدُهُ أَفْضَلَ مِنْ نِعَمِهِ).(١)

ونتيجة للتوفيق الرباني والمنهج الرشيد الذي سار عليه سليمان عليه السلام فقد كانت النهضة الحضارية في عهده تشمل **مجالات إنسانية متنوعة، منها:**

١-مجال النهضة العلمية:

لقد كان العلم هو الأساس لبناء الحضارة في عهد سليمان عليه السلام؛ وكان ذلك مما خصه الله به مع والده داود عليه السلام، فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [سورة النمل، الآية: ١٥]، أي: نوعاً عظيماً ممتازاً من العلم جمعا به بين الملك والنبوة، وقاما بأمر الحكم والهداية.(٢)

وقد بلغ العلم في عهد سليمان مبلغاً عظيماً حتى كان فيها صاحب اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وهو الذي جاء بعرش بلقيس العظيم في لمح البصر من اليمن إلى الشام، ولم يكن علمه علماً دنيوياً أرضيا، وإنما كان علماً روحانياً إلهياً،(٣) كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٤٠]، وفي قصة العرش هذه نتعلم أنّ الحضارة لا تُكتسب بالقوة وإنما بالعلم والحكمة، وَأَنَّ الِاكْتِسَابَ بِالْعِلْمِ طَرِيقٌ لِاسْتِخْدَامِ الْقُوَى.(٤) كما أنّ بلقيس ملكة سبأ كانت على درجة كبيرة من العلم والذكاء والفطنة، فاستطاعت بذلك أن تحكم قومها بسياسة رشيدة حكيمة، وقد أثبت لها سليمان عليه السلام(٥) هذا العلم بقوله: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٤٢]، وفي قصتها كثير من الفوائد لمن أراد الاستفادة.

٢-مجال النهضة في وسائل الاتصال:

لقد بلغت النهضة الإعلامية أوجها في عهد سليمان عليه السلام بسبب تسخير الله للمخلوقات له كالريح، والطيور، والجن مؤمنهم وكافرهم، وعلمه بمنطق الطير ونحوها من الكائنات كالنمل، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٦]، وقد ذكر القرآن قصته مع الهدهد وقيامه بوسيلة الاتصال بينه وبين ملكة سبأ، وكذلك قصته مع النملة، وكل ذلك من علامات تفوق عهده في الوسائل الإعلامية.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، ٥/ ٢٩٣.

(٢) تفسير ابن باديس، ١/ ٢٥٣.

(٣) ينظر: تفسير العثيمين، "النمل"، ١/ ٢٢٤.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٩/ ٢٧١.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ١/ ٢٣٥.

٣- مجال النهضة العمرانية:

إنّ عنواناً تقدم أي حضارة ونجاحها هو التفوق العمراني، ويظهر ذلك جلياً في عهد سليمان كما قصها علينا القرآن الكريم، فقد كان يبني الصروح العظيمة من الزجاج على شكل هندسي فاخر يوحي للناظر كأنه في بحر، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٤٤]، يقول ابن عاشور رحمه الله: (وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الصِّنَاعَةِ الَّتِي اخْتُصَّتْ بِهَا قُصُورُ سُلَيْمَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً فِي الْيَمَنِ عَلَى مَا بَلَغَتْهُ مِنْ حَضَارَةٍ وَعَظَمَةَ بِنَاءٍ).(١)

كما كان الشياطين يعملون له الأبنية الفاخرة، الدالة على التطور الهندسي المعماري، والتماثيل الدالة على التطور الزخرفي، والجفان والقدور العظيمة التي تدل على التطور في صناعة أدوات المعيشة والتطور في صناعة المعادن، فقد قال تعالى: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سورة سبأ، الآية: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ﴾ [سورة ص، الآية: ٣٧].

٤- مجال النهضة العسكرية:

إنّ التفوق العسكري من الأمور الملحوظة في حضارة سليمان عليه السلام فقد أُوتي ملكاً عظيما لم ينبغي لأحد بعده، وقوام الملك وأساسها هي القوة الدفاعية والعسكر، فكان جنوده من جميع أنواع المخلوقات، ومع كثرتهم فإنهم كانوا على درجة عالية من التنظيم والترتيب العسكري، كما قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٧]، يقول السعدي رحمه الله: (أي: جمع له جنوده الكثيرة الهائلة المتنوعة من بني آدم، ومن الجن والشياطين ومن الطيور فهم يوزعون يدبرون ويرد أولهم على آخرهم، وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم وحلهم وترحالهم قد استعد لذلك وأعد له عدته).(٢)

كما يظهر ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٣٧].

٥- مجال النهضة في علم البحار:

تميزت الحضارة في عهد سليمان عليه السلام بمعرفة البحار واستخراج كنوزها وفوائدها من خلال الشياطين الذين كانوا يغوصون له في البحر، فكانت حضارته أول حضارة تشتهر بالغوص، (٣)كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ﴾ [سورة ص، الآية: ٣٧].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٩/ ٢٧٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ١/ ٦٠٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٣/ ٨٩.

وهاتان الحضارتان هما نموذجان حيان لكل إنسان يريد أن يسير في ركب الحضارة الإنسانية المثالية الراقية، الجامعة لمكارم الأخلاق، ومعالي القيم، والتي يرضاها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: نماذج حضارية يجب الابتعاد عن سيرتها، والاتعاظ بمصيرها:

هناك نماذج حضارية تفوقت في مجالات عديدة، ولكنها كفرت بالله وبنعمه فكافأها الله بالهلاك والانهيار، وقد حدثنا القرآن عن بعضها لأخذ العبرة منها، والابتعاد عن مثل أفعالها، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١١١]، ويمكن أن أعرض في هذا الموضع عدة نماذج لهذه الحضارات ثم أبين أسباب انهيارها وعدم بقائها، وذلك فيما يلي:

أ-حضارة عاد:

لقد اتصفت حضارة عاد بالتكبر والجبروت والطغيان في الأرض؛ وذلك لما حباهم الله به من القوة الجسدية التي تفوقوا بسببه على غيرهم من سكان الأرض، ولذلك عندما ذكر الله إهلاكهم في القرآن لم يقل بأنه أهلك من هو أشد منهم قوة، على عادة القرآن في ذلك، وإنما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [سورة فصلت، الآية: ١٥].

كما أخبر الله تعالى أنه لم يخلق مثلهم في الأرض، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [سورة الفجر، الآية: ٦-٨].

وقد كانت حضارة عاد متفوقة في مجالات إنسانية عديدة، فانطلقوا من التفوق إلى مجاوزة الحد فيها، والتمرد على الحق، فعقابهم الله بالهلاك والدمار، ومن مظاهر التفوق الحضاري الذي تجاوزوا **منه إلى الفساد ما يلي:**

١-العمران الذي تجاوزوا فيه إلى البنيان الهائل والعالي لأجل اللهو والعبث والتفاخر والتطاول على غيرهم، وقد نص الله على ذلك لأجل أن يحترز غيرهم من مثل فعلتهم،(١) فقد قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ١٢٨]،

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في أمثال عاد في هذا العصر:

(وعلى هذا يَتَبَيَّن لنا أن هؤُلاءِ الَّذينَ يحاوِلون أنْ يَصِلُوا إلى الكواكبِ، ويُطْلِقوا هذه الأقمارَ الَّتي لا يَستفيدون منها في الأَرْض مثل قوم عادٍ تمامًا، يَعْنِي: الطريقة هي الطَّريقة، وإنْ كَانَ الأسلوبُ مختلِفًا، يَعْنِي: يفعلون هذه الأشياءَ آيةً وعَبَثًا؛ إذ لا يَستفيدونَ منها فيما خُلِقَ لهم).(٢)

٢-والصناعة التي اتخذوها وسيلة للبقاء وعدم الفناء، وقد ذمّ القرآن الكريم الصناعة على طريقتهم لأنها تدلُّ عَلَى الاستغراق في القضايا المادية، والترف والنعيم الدنيويين، وَالْغَفْلَةِ عَنْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لَا دَارُ مَقَرٍّ،(٣) فقال تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ١٢٩].

---

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي، ٨/ ٧٣، وينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ٢٤/ ٥٢٢.

(٢) تفسير العثيمين "الشعراء"، ١/ ٢٢٠.

٣-والقوة العسكرية، والتي كانت قوةً عسكريةً متَّصفةً بالظلم والتجبر والطغيان، ولذلك يقول الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ١٣٠].

وهذه الأمور الثلاثة التي تجاوزت فيها عاد الحد وتجبرت فيها، هي أمور لا تسلم منها حضارة العصر الحديث، كما قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (وقِس هذه الأشياء على وَقْتِنا الحاضِرِ، فتَجِدها مُنْطَبِقَةً تمامًا، فهناك مَن يَتَّخِذُونَ من هذه القُوَّة آيةً للفَخْرِ والعَبَث، ثم هذه المصانع أيضًا الَّتي يَتَّخِذُونها مصانع القنابل الذَّرِّيَّة والنَّوَوِيَّة وغيرها؛ لأجْلِ أن يَخْلُدُوا؛ حتى لا يَتَسَلَّط عليهم أحدٌ، وحتى تكون لديهم السيطرةُ في هذه المصانعِ، وكذلك الثالث، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ يَعْنِي: إنكم تَبْطِشُون، فهو مَوْجودٌ كذلك).(١)

٤-والعلم الذي يجوز أن يوصفوا به لما حققوه من التفوق الحضاري في العمران والصناعة، وذلك مع قصورهم في العلم الروحاني الإلهي الذي يقودهم إلى الإيمان الصحيح، فقد قال تعالى عنهم: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٣٨]،

وقد عرّف العلماء معناها في هذا الموضع بمعرفتهم للحق والباطل، أو باتصافهم بالعلم والعقل، أو بضلالهم.(٢)

وقد أشار القرآن الكريم إلى نهضتهم في الإنتاج الحيواني والزراعي الذي اصطفاهم الله به، وفضلهم على غيرهم فيه، فقال تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۝١٣٣ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ١٣٤].

ب-حضارة ثمود:

كانت حضارة ثمود من جملة الحضارات الغابرة التي أهلكها الله بسبب حيادها عن الحق وكفرها بنعمه، وهم قوم استخلفهم الله من بعد قوم عاد، ويسّر لهم سبل العيش في الأرض، فكانت حضارتهم تتصف برفاهية العيش، والتطور العمراني الملحوظ، حيث كانوا ينحتون من الجبال البيوت الفخمة العظيمة، فقد قال تعالى عنهم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٧٤].

وقد بيّن الله في القرآن حضارتهم التي قامت على الإعراض عن الله، ومعاندة الحق، مما أدى بهم إلى الهلاك، **فذكر من مظاهر حضارتهم ما يلي:**

١-العلم، حيث وصفهم بالعقل والعلم، ومعرفة الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [سورة فصلت، الآية: ١٧]، فهداية الله لهم نعمة علمية عقلية، ولكنهم بدلوا نعمة الله، وآثروا عليها الضلال.(٣)

٢-براعتهم في هندسة البناء، والترف والبذخ فيها، فقد قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ١٤٩]، وكانت الهندسة المعمارية في حضارتهم تعد نموذجاً معمارياً فريداً من نوعه على مرّ العصور.

---

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ٢٤/ ٥٢٣،

(١) تفسير العثيمين "الشعراء"، ١/ ٢٢٤.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم، ١٣/ ٨٢٤.

(٣) ينظر: التفسير القيم لابن القيم، ١/ ٢٣٨.

٣-النعيم الرباني المتمثل في الحدائق والبساتين الخضراء والأنهار، يقول تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ ۝١٤٦ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ١٤٦-١٤٨]، وتذكيرهم بهذه النعم يعد من الأساليب القرآنية التي تحفز على القيام بما تقتضيه هذه النعم من شكر الله، والإيمان به، وعبادته وتوحيده.

ج-حضارة أهل مدين:

لقد ازدهرت حضارة أهل مدين بسبب النعم التي أنعمها الله عليهم، ولكنهم كفروا بأنعم الله، وكذبوا بنبيه، فكان سبباً في هلاكهم، وانهيار حضارتهم. ومن المجالات التي تأسست عليها حضارتهم، والتي يمكن أن نستنتج **منها هدايات في البناء الحضاري، ما يلي:**

١-مجال التنمية الحيوانية:

فقد اشتهر أهل مدين برعي المواشي، وقصة موسى عليه السلام مع المرأتين عند وصوله إلى مدين يهدينا إلى أنّ الأشغال الجسدية المنهكة في المجتمع كالفلاحة، والسقاية، ورعاية المواشي أليق بالرجال من النساء،(١) يقول الرازي رحمه الله: (الْعَادَةَ فِي السَّقْيِ لِلرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ يَضْعُفْنَ عَنْ ذَلِكَ)،(٢) وبقول أبو العباس الفاسي رحمه الله: (وقد كنت أعترض على أهل الجبل رَعْيَ النِّساءِ المواشي حتى تذكرت قضية ابنتي شعيب، لكن السلامة في زماننا هذا حبس النساء في الديار لكثرة أهل الفساد).(٣)

وكذلك هذه القصة فيها: إثبات قانون الإجارة في حضارة أهل مدين، كما يقول القرطبي رحمه الله: (فيها: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِجَارَةَ كَانَتْ عِنْدَهُمْ مَشْرُوعَةً مَعْلُومَةً، وَكَذَلِكَ كَانَتْ فِي كُلِّ مِلَّةٍ، وَهِيَ مِنْ ضَرُورَةِ الخليقة، ومصلحة الخلطة بين الناس).(٤). والقصة هي من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [سورة القصص، الآية: ٢٣-٢٨].

٢-مجال المعاملات التجارية:

اشتهر أهل مدين بزراعة المحصولات الغذائية، والمتاجرة بها، ولذلك كان الناس يقصدونهم لشراء الأغذية التي تكتال وتباع، ولما أنعم الله عليهم بهذه النعم، لم يقابلوه بالشكر والعدل في المكيال، وإنما قابلوه بالفساد، وعدم الأمانة في الموازين، فكان ذلك من أسباب انهيار حضارتهم، وإهلاكهم، ومما يستفاد من حضارة أهل مدين في مجال التجارة ما يلي:

-أنّ من أهم عوامل ثبات الحضارات: وجوب الأمانة في المعاملات التجارية، ولذلك أمرهم بها نبيهم شعيب عليه السلام، فقال: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [سورة هود، الآية: ٨٤]،

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي، ٨/ ١٦١، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب القيسي، ٨/ ٥٥١٢.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ٢٤/ ٥٨٩.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس الفاسي، ٤/ ٢٤٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٣/ ٢٧١.

قال مجاهد رحمه الله: (كانوا في خصب وسعةٍ؛ فحذَّرهم زوال النعمة، وغلاء الأسعار، وحلول النقمة إنْ لم يتُوبُوا).(١) وورد عن سعيد بن المسيب رحمه الله: (إذا أتيت أرضاً يوفون المكيال والميزان فأطل المقام بها، وإذا أتيت أرضاً ينقصون المكيال والميزان، فأقل المقام بها)،(٢) وذلك لما في إيفاء الكيل من الأمان والسلامة، وما في نقصه من الفساد والفتنة.(٣)

-أنّ حرية التصرف في الأموال بدون القيود الإلهية سبب في وقوع الفساد والمنكرات، وأنّ إدخال الدين في الاقتصاد من أوجب الواجبات لاستقامة المعاملات، وردع الفساد، وحلول البركة في الأموال، لا كما يدعيه الجاهليون قديما من أهل مدين: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ [سورة هود، الآية: ٨٧]، والجاهليون حديثاً في هذا العصر، بقولهم: إنّ الربط بين العقيدة، والسلوك الشخصي في الحياة، والمعاملات المادية في السوق، يعدُّ من الرجعية والتخلف.

د-حضارة سبأ:

لقد قص الله علينا في القرآن الكريم خبر الحضارة السبئية التي كانت لها نهضة عظيمة في العمران، والمروج والحدائق؛ لدرجة أنّ الراكب كان يسير في قراها لمدة شهر، من أولها إلى آخرها، لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظل؛ وذلك لاستتار الأرض بالأشجار وإحاطته بها، فكان أهلها يعيشون في أطيب عيش وأرفعه، وأهنأ حال وأرغده، وذلك مع طيب الهواء، وصفاء الفضاء، ووفرة الماء مع السدود التي بنوها، وقوة الشوكة واجتماع الكلمة، ولكنهم لما كفروا بأنعم الله ولم يشكروه، وتذمروا من اتصال بساتينهم، وتشابك حدائقهم، أزال الله عنهم تلك النعم، وفرق شملهم، ودمر حضارتهم وبلادهم،(٤) وقصتهم في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖ﴾، إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖ﴾ [سورة سبأ، الآية: ١٥-٢١].

ومن خلال قصة الحضارة السبئية يمكن أن نستعرض مجالات النهضة فيها، مع **الاستفادة من بعض الهدايات، وهي فيما يلي:**

١-النهضة الصناعية، وتتمثل في بنائهم للسدود العظيمة التي كانت سببا في حصولهم على كثير من النعم والخيرات، والبساتين الخضراء، على يمين البلاد وشمالها، كما كانت هذه السدود سبباً في هلاكهم بعد كفرهم لهذه النعم؛ لأنّ الجزاء من جنس العمل، وقد وصف الله بلادهم بقوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞ﴾، أي: علامة على قدرة الله فيما يريده.(٥)

(١) اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي النعماني، ١٠/ ٥٤٣.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي، ٢/ ١٦٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٢/ ١٣٩.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ١٥/ ٤٧٦-٤٧٧.

(٥) تفسير القرآن الكريم للمنتصر الكتاني، ٢١٩/ ٢.

٢-النهضة الزراعية حيث كانت الحضارة السبئية متفوقة جدا في هذا المجال بسبب ما هداهم إليه تفكيرهم في إقامة سد عال بين جبلين حجزوا به الماء في الوادي، وصرفوه بحكمة وهندسة، فأخصبت أراضيهم، وزرعوا الزروع، وأنشأوا الحدائق الفيحاء، ذات الثمار الكثيرة،(١) يقول تعالى: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، وبذلك نعرف حجم مكانة الماء في عمارة الأرض وبناء الحضارات.

٣-النظافة البيئية حيث وصف الله بلدتهم بقوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾، يقول ابن عثيمين رحمه الله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾، وما نوعُ الطَّيب في هذه البَلدةِ؟ هل هو طِيب الأَرْض، أو طِيب الهَواء، أو طِيب الثَّمار؟ الجوابُ: يَعُمُّ كُلَّ ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٨] ،(٢) وذلك يهدينا إلى أنّ النظافة من أهم المظاهر الحضارية في البيئة.

٤-النهضة التجارية، فقد كانت حضارة أهل سبأ قائمة على التجارة بما أنعم الله عليهم من الخيرات إلى بلاد الشام، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾، ويشير ذلك إلى أنَّ الطرُق إذا كانت بين قُرًى مُتَجاوِرة فهي آمَنُ وأَقرَبُ إلى سلامة المسافرين، وأنّ أمن الأوطان من أعظم أسس الحضارة الإنسانية.(٣)

وفي قصة أهل سبأ دلالة على أنّ احتقار النعم، وعدم شكر الله فيها من أعظم أسباب زوالها، قال تعالى عنهم: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.

وكذلك أنّ آخر ما يتبقى من الحضارات المنهارة هو: ذكرها على ألسن الناس: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾.

هـ-الحضارة الفرعونية:

لقد ذكرت الحضارة الفرعونية في القرآن الكريم من خلال عهدين هما:

أ-عهد نبي الله يوسف عليه السلام، وقد سبق ذكر بعض معالم الحضارة في عهده عليه السلام.

ب-عهد نبي الله موسى عليه السلام، وقد ولي اهتماماً كبيراً في القرآن؛ لأنّ الحضارة الفرعونية في عهده كانت قد بلغت أقصاها في الرقي والتقدم في المجالات المتنوعة، وكذلك في التجبر، والطغيان، والظلم لبني إسرائيل الذين دخلوا مصر في عهد يوسف عليه السلام.

وآثار هذه الحضارة باقية إلى يومنا هذا، ولكنها كانت حضارة ظالمة طاغية، بواسطة ملكهم الذي كان يحكم مصر آنذاك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٤]، وقد بلغ إفساد فرعون في مصر إلى أن ادعى الألوهية، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة النازعات، الآية: ٢٤]، فاستحق بذلك الهلاك والدمار والموت غريقاً تحت المياه.

---

(١) التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي، ٣/ ١٣٤.

(٢) تفسير العثيمين: "سبأ"، ١/ ١٣٢.

(٣) ينظر: تفسير العثيمين "سبأ"، ١/ ١٤٣.

ومما تميزت به الحضارة الفرعونية في ضوء ما قصه علينا القرآن، ويمكننا **الاستفادة منه في مجال بناء الحضارات، ما يلي:**

١-النهضة العمرانية في البناء والهندسة، فقد شاءت قدرة الله وحكمته، أن يهلك فرعون وقومه، ومع ذلك تبقى آثارهم العمرانية إلى وقتنا الحاضر، ومنها الأهرامات، التي تشهد على ما وصلت إليه تلك الحضارة من التقدم العلمي في مجال البناء والهندسة العجيبة، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [سورة غافر، الآية: ٣٦]، ولكنّ هذا التقدم العمراني في بناء الصروح العظيمة لم يفيدهم بشيء؛ لأنها صروح قائمة على الكفر وإنكار الخالق، ولذلك فكل بناء عظيم مثله بني على هذا الأساس في عصرنا الحاضر فهو بناء واهٍ يجرف صاحبه نحو جهنم، ولا يفيده شيئا في عاقبة أمره.

٢-النهضة الزراعية، والتي شهد لها الله بقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [سورة الدخان، الآية: ٢٥-٢٦].

٣-وفرة الماء؛ لأنّ نهر النيل واقع تحت سيطرتهم وفي مملكتهم، ولذلك افتخر فرعون بقوله: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٥١].

٤-التنظيم الملكي، حيث لم ينسب منصب وزير ملك الدولة في القرآن إلا لشخصين فقط، أحدهما كان مثالا للخير، وحسن سياسة الدولة والرعية، وهو يوسف عليه السلام. بوصفه بالعزيز والآخر كان مثالا للشر، وظلم الرعية والفساد، وهو هامان، كما قال تعالى عنه:﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٨].

٥-علم السحر، فمع أنّ الله ذكر في كتابه: أنّ الساحر لا يفلح حيث أتى، إلا أنه أثبت أنهم: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١١٦]، وذلك لبراعتهم وتفوقهم فيه.

٦-التفوق في وسائل الاتصالات، ويظهر ذلك في سرعة حشر الناس وجمعهم من قِبَلِ فرعون، فمنها جمعه للسحرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١١١]﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١١٢].

ومنها جمعه للناس للمقابلة بين السحرة وموسى عليه السلام، كما قال تعالى:﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٣٨-٣٩]، **وقوله:** ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾ [سورة طه، الآية: ٥٩-٦٠].

ومنها: جمعه لجيوشه من جميع أنحاء بلاده للخروج إثر موسى وبني إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٥٣].

٧-القوة العسكرية، التي اتصفت بها الحضارة في ذلك العصر، وبسببها استكبر فرعون وجنوده، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٣٩].

وهذه القوة بلغت مبلغها في الظلم والطغيان، وقد كانت لفرعون بتدبير جنوده، **واتصفت بعدة أمور من خلال ما ذكره القرآن منها:**

١-تفريق الناس: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [سورة القصص، الآية: ٤].

استضعاف الناس: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ [سورة القصص، الآية: ٤].

٢-الجرائم: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [سورة القصص، الآية: ٤].

٣-استعباد النساء: ﴿وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [سورة القصص، الآية: ٤].

٤-الفساد: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٤].

٥-التآمر على موسى وأهل الإيمان: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٢٠].

٦-الظلم، وكثرة الأخطاء: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٨]، وقوله: ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٢٥].

٧-الفسق الخاص والعام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٣٢].

٨-الاستكبار: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾ [سورة القصص، الآية: ٣٩].

٩-الإضلال الإعلامي: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٥٤].

وكل قوة عسكرية تتصف بهذه الأمور فلا شك أنها قوة ظالمة غاشمة، تقتضي سنة الله إهلاكها ودمارها.

المطلب الثالث: عوامل انهيار الحضارات السابقة في الذكر:

لما كان المجال في هذا البحث لا يسعنا لاستيعاب جميع معالم الحضارات المذكورة في القرآن، اكتفينا في المطلب السابق على سرد أبرزها بشكل موجز يقتصر على ذكر الأهم فالأهم.

ويمكن أن نستعرض في هذا المطلب أبرز العوامل المؤدية إلى انهيار هذه الحضارات العظيمة الآنفة في الذكر، وذلك على النحو التالي:

تنقسم العوامل في انهيار الحضارات السابقة إلى نوعين، وهما:

النوع الأول: عوامل يشترك فيها جميع الحضارات، وهو أعظم أسباب سقوطها وانهيارها

ومن ذلك: الكفر، والإشراك بالله، ولذلك كان أول ما ارتكزت عليها دعوة الرسل هو: نبذ الشرك والأوثان والدعوة إلى توحيد الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥].

ومنها: تكذيب الأنبياء؛ لأنّ من كذّب برسوله فقد كذّب بجميع الأنبياء، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [سورة ق، الآية: ١٤].

ومنها: التكبر والعناد؛ فغالبيتهم اشتركوا في معاندة الحق وعدم قبوله، والاستكبار عن الإذعان للحق، فقد قال تعالى عن عاد: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [سورة فصلت، الآية: ١٥].

وقال تعالى عن ثمود: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٧٥]

وقال تعالى عن قوم شعيب: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٨٨].

وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [سورة القصص، الآية: ٣٩].

النوع الثاني: المعاصي والمنكرات المتفشية في المجتمع وأنواع المعاصي وحجمها يختلف من حضارة إلى حضارة أخرى، حسب ما تقتضيه العادات والثقافات، فمثلا تفشى ظلم الناس واحتقارهم في قوم عاد، الذين قال تعالى عنهم: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾ [سورة الشعراء، الآية: ١٣٠].وكما تفشى الإسراف والفساد في ثمود، الذين انتهى بهم فسادهم إلى عقر الناقة التي كانت معجزة من عند الله، كما قال تعالى حاكيا عن نبيهم صالح عليه السلام: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٧٤].، وقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢﴾ [سورة الشعراء، الآية: ١٥١-١٥٢].وكذلك تفشي الظلم التجاري في قوم شعيب، كما قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [سورة هود، الآية: ٨٥].

وتفشى كفران نعمة الله في قوم سبأ، كما قال تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [سورة سبأ، الآية: ١٩].

أما فرعون فقد بلغ من الكفر والظلم والعلو والاستكبار أقصى الحدود حتى ادعى لنفسه الإلهية، وكان قومه تابعون له، ولذلك استحق ذكر اسمه مع قومه في مواضع قصصه في القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٥٤].

المبحث الثاني: بناء القرآن للإنسان الحضاري:

إنّ الحياة التي نعيشها هي عنصر أساسي وركن مهم من أركان الحضارة للإنسان، ولما كان القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية فقد تحدث عن حياة الإنسان من خلال جوانب عديدة، بتفصيلات كثيرة، يمكن من خلالها تكوين حضارة متطورة تشمل كل تطورات الحياة الإنسانية، وتحقق كل ما يخدم المجتمع الإنساني، وتواجه كل المستجدات الطارئة على حياة البشر في شتى المجالات، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٩]، يقول ابن عثيمين رحمه الله في هذه الآية: (هذه الكلمة لو صنفت عليها مجلدات ما استوعبت مدلولها ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ في كل شيء، في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات إيجادًا أو تركًا، ولو أنك تتبعت الشريعة بقدر ما تستطيع لوجدت أن هذا الوصف منطبق على جميع خصال الشريعة).(١)

ولما كانت الحضارة هي ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة فقد تعددت مجالاتها في القرآن الكريم، لهدف بناء الإنسان الحضاري المستقيم روحياً وجسدياً واجتماعياً، يمكن أن أعرض في هذا المبحث كيفية بناء القرآن للإنسان الحضاري من الناحية الروحية فقط؛ لأجل التناسب مع حجم البحث، ولأنّ الروح هو لب الجسد وعليها قوام البدن وحركاتها وأفعالها، وذلك على النحو التالي:

١. **بناء الإنسان الحضاري روحياً:** إنّ بناء الإنسان الحضاري روحيا هو أهم المجالات التي جاء بها الوحي الإلهي، وارتكزت عليها دعوة الرسل جميعهم عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥]، فجميعهم جاؤوا برسالة التوحيد الخالص الذي يبين للإنسان الغاية من خلقه ووجوده على الأرض، وهو عبادة الله عز وجل، وتوضح له أنّ ما سخره الله تعالى له من الأمور إنما هي وسائل تعينه على القيام بهذا الواجب الذي خلق له.

وقد ركز القرآن الكريم على عدة وسائل لتحقيق مقصد بناء الإنسان الحضاري روحيا، فمنها:

٢. **وسيلة التفكر والتدبر:** لقد عرض القرآن الكريم نماذج من توجيه الرسل عليهم وحثهم لأقوامهم على التدبر والتفكر في هذا الكون الفسيح الذي أبدعه خالقه جل وعلا، لأنّ ذلك يرقى بالروح إلى استشعار عظمة الله عز وجل، والإيمان به، واتباع هداه، كما قال تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [سورة نوح، الآية: ١٥-١٦].

كما لفت القرآن الكريم الأنظار إلى هذه الوسيلة في مواضع كثيرة، وأمر بها، وحثَّ عليها، وبيّن أفضلية من يعمل بهذه الوسيلة في حياته، فمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩٠]، وقوله: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٠١]. وبالمحافظة على هذه الوسيلة والعمل بها يتوصل الإنسان من خلالها إلى الإيمان بالخالق جلّ جلاله، ثم إلى إدراك ألوهيته وربوبيته المطلقة، ويعرف كذلك أنّ هذه المظاهر الكونية كلها مسخرة

(١) تفسير العثيمين (الصافات)، ١/ ٨٦.

لخدمة الإنسان، ومصلحته وحاجاته فوق هذه الأرض، وهي فوائد له في حياته ومعاشه، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٩]، وبذلك يكتمل له البناء الروحي الذي يقبله الله ويرضاه له.

٣. وسيلة دفع القلق والاضطراب بذكر الله والرضا بقضائه: إنّ من أهم الدوافع التي تحول بين الإنسان وبين بنائه السليم روحياً ما يطرأ عليه من المشاعر النفسية السلبية كالهموم والأحزان، ومشاعر الريبة والقلق ونحوه، ولذلك حث القرآن الكريم على دفعه لهذه المشاعر السلبية بذكر الله، والرضا بقضائه وقدره؛ لأنّ ذكر الله سبحانه وتعالى ينبت في قلب العبد نورا يهتدي به، ويرفع معنوياته، ويدفع الأمراض التي ينشأ أكثرها من تلكم المشاعر، كما يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٢٨]، يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب رحمه الله: (إنّ الداء الذي يغتال أمن الناس، ويقضّ مضاجعهم، هو ما يدخل عليهم من هموم الدنيا، وما يشغلهم من توقعات الأمور فيها، وإنه لا دواء لهذا الداء إلا باللّجوء إلى الله، والفزع إليه، وذلك بذكره، وتذكّر سلطانه المبسوط على هذا الوجود، وأمره القائم على كل موجود).(١)

ويقول أبي زهرة رحمه الله: (من يذكر الله يعلو عن آلام الحياة واضطرابها، وما ينزعج له الناس ويتحيرون فيه، ولذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.(٢)

كما ورد التنفير عن الحزن في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، فلا يكاد الحزن يُذكر إلا وفيه نفيه أو النهي عنه؛(٣) لأنّ له نتائج سلبية كثيرة على الإنسان مما يكون سببا في إعاقة تقدمه وتحضره وبنائه وإنجازه في الحياة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٣٩].

كما كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ من الهمّ والحزن، فيقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ".(٤)

يقول ابن القيم رحمه الله: (والمقصود أنَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم جعل الحزن مما يستعاذ منه؛ وذلك لأنَّ الحزن يُضعِف القلب، ويُوهِن العزم، ويغيّر الإرادة، ولا شيء أحبُّ إلى الشيطان من حزن المؤمنِ).(٥)

٤. وسيلة العلم: إنّ من المعروف أنّ القرآن الكريم ليس كتاباً محصوراً في أمور العبادات فحسب، وإنما هو دستورٌ للحياة الإنسانية بأكملها، ولذلك اهتم القرآن في أول نزوله بأمر بالعلم والمعرفة حيث كانت أول

(١) التفسير القرآني للقر آن لعبد الكريم يونس الخطيب، ٧/ ١١٣-١١٤.

(٢) زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ٣/ ١٥٤٧.

(٣) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم، ١/ ٥٠٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، (كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل، ح رقم: ٦٣٦٩، [٨/ ٧٩]).

(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، ٢/ ٦٠٧.

الآيات نزولا على النبي صلى الله عليه وسلم هو قوله تعالى:﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق، الآية: ١] وقد أمر القرآن بالاستزادة من العلم، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [سورة طه، الآية: ١١٤]، وبيّن تميُّز العالم عن غيره، فقال تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٩]، ونحوها كثير في الآيات.

فأول وسيلة لبناء الإنسان الحضاري روحياً هو تنمية فكره بالعلم الصحيح الذي يُعرِّفه بما أمره الله به، وما نهاه عنه، وما يحبه ويكرهه من الأعمال والأقوال، ثم الاستزادة ببقية العلوم النافعة التي تكوِّن له الحضارة المثالية السعيدة؛ فكل علم لا يقوم على أساس هذا العلم الصحيح فهو يؤدي إلى الشقاء والبؤس في الحياة المعيشية، ولذلك نرى كثرة الأمراض النفسية والجرائم والانتحار في بلاد الغرب مع كل ما وصلوا إليه من التقدم الظاهر في أنواع العلوم الدنيوية.

٥. **وسيلة الترويح عن النفس**:اهتم القرآن بوسائل ترويح النفس بما يطربها ويدخل السرور عليها، ما لم يكن ذلك في محرم كالخمور والموسيقا ونحوه.

ومن مظاهر اهتمامه بذلك: الإشارة إلى وسائل ترويح النفس، كالحدائق التي تسر الناظر، فيقول تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٠].

ومنها: التنبيه على أنّ تحسين الصوت بالتلاوة من الأمور التي يحمدها القرآن وهو سنة نبي الله داوود في قراءته حيث كانت الجبال والطير تردد وترجع الصوت معه: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَ﴾ [سورة سبأ، الآية: ١٠]، فتخيل أخي الكريم هذا المشهد الجميل عند قراءة داوود عليه السلام والجبال مع صوته مثل الصدى والمكبرات، والطير مع صوته مثل الأنغام.

ولم يمنع ديننا الحنيف من تطرية الصوت وتجميله بكل ما يقدر عليه الإنسان مع مراعاة أحكام التجويد ومخارج الحروف، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود".(١)

ولا شكّ انّ القرآن هو أعظم ما يروح عن النفس، ويجلب لها السعادة والطمأنينة، والفرح والسرور، خصوصاً إذا كان بصوت جميل شجيٍّ.

وكل ما يسعد الروح من الأمور الدنيوية مباح للإنسان مالم يكن شيئاً محرماً في الشرع، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣٢]،

فالاستفادة من هذه الأمور في الاستعانة به على تقوية الروح والجسد وتهيئتها لعبادة الله وعمران الأرض بما فيه الخير والصلاح للبشرية، هو مقصد القرآن، وهو الهدف من إتاحة جميع أنواع النعم الحياتية التي يسعد ويتنعم بها روح الإنسان وجسده على وجه الأرض، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٩].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة بالقرآن، ح رقم: ٥٠٤٨، ٦/ ١٩٥).

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذه بعض الوقفات القصيرة لعرض نماذج من الحضارات الإنسانية من خلال هدايات القصص المذكورة في القرآن، وقد تمّ من خلال هذا البحث بيان تميز القرآن الكريم عن غيره في بنائه للإنسان الحضاري وفق المبادئ الإسلامية الراقية التي تراعي التوازن بين المادة والروح بالسواء، وتوطد العلاقة بين الإنسان وربه، وتجعله إنساناً سوياً سليماً في شتى نواحي حياته.

وبعد إتمامي لهذا البحث بحمد الله وتوفيقه، توصلت من خلاله إلى النتائج الآتية:

١. أنّ مفهوم الحضارة الإنسانية من المفاهيم التي لم يتفق العلماء على تحديدها، بل إنهم اختلفوا حسب المنطلقات التي عرّفوا الحضارة من خلالها.

٢. أنّ الإنسان هو محور الحضارة؛ لأنه الهدف والغاية.

٣. ذكر القرآن الكريم نماذج من الحضارات الغابرة وأسباب انهيارها؛ لأنّ ذلك مما يستلهم منه الفوائد والعِبر، وهي تورث للإنسان حصيلة معرفية عن هذه الحضارات، ومجالات تفوقها.

٤. ثبات الحضارات وديمومتها يستند إلى احترامها للسنن الكونية.

٥. الحضارات الإنسانية كما يصورها القرآن لا تقتصر على الجانب المادي أو الروحي فقط، بل تشملهما معاً.

٦. العلاقة بين الحضارة والقيم الخُلُقية علاقة وطيدة لا ينفك أحدهما عن الآخر.

٧. تفشي الفساد في أي حضارة إنسانية مؤذن ببداية انهيارها مهما علا شأن العقل فيها، وأعظم مثال على ذلك هو الحضارة الأمريكية في العصر الراهن.

٨. القصص القرآنية تعد مدرسة لتعلم الأخلاق الفاضلة، ومنهاجاً لبناء الإنسان، والحضارات الراقية.

٩. القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يعتني ببناء الإنسان الحضاري في شتى مجالات حياته.

أما أهم التوصيات فهي فيما يلي:

-كتابة بحث علمي يهتم بمجالات تفوق الحضارات المذكورة في القرآن، للاستفادة والاسترشاد منها في الحياة المعاصرة وفق الهدي القرآني.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١-أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين.

٢-الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٥ هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض.

٣-بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

٤-البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي -القاهرة

٥-تأويلات أهل السنة لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م، المحقق: د. مجدي باسلوم.

٦-التحرير والتنوير ((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد))، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٧-التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٦هـ، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي.

٨-مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))، لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت ١٣٥٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين.

٩-تفسير القرآن العظيم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ، المحقق: أسعد محمد الطيب.

١٠-تفسير القرآن الكريم سورة النمل + الشعراء +سبأ +الصافات، لمحمد بن صالح العثيمين، الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

١١-تفسير القرآن الكريم لمحمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (ت ١٤١٩هـ)، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، تاريخ النشر بالشاملة: ١٩ جُمادَى الآخرة ١٤٣٢هـ.

١٢-تفسير القرآن الكريم لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال –بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٠ هـ، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان.

١٣-التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

١٤-التفسير الواضح للحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد — بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣هـ.
١٥-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
١٦-جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، الناشر: دار التربية والتراث -مكة المكرمة -، بدون تاريخ نشر.
١٧-الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
١٨-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة -بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م.
١٩-الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعلماء نجد الأعلام، الطبعة: السادسة، ١٤١٧ هـ-١٩٩٦ م، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.
٢٠-ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، المحقق: خليل شحادة.
٢١-زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
٢٢-صحيح البخاري لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: ١٤١٩ هـ، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان.
٢٣-طريق الهجرتين وباب السعادتين لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١هـ)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم)، المحقق: محمد أجمل الإصلاحي.
٢٤-الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت:٤٠١ هـ)، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي.
٢٥-قَانون التَّأويْل للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، دراسة وتحقيق: محمّد السّليماني.
٢٦-قصة الحضارة، لويليام جيمس ديورَانت (ت ١٩٨١ م)، الناشر: دار الجيل، بيروت -لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين.
٢٧-كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.

٢٨- كتاب حجج القرآن لأحمد بن محمد بن أحمد المظفر ابن المختار، أبو العباس بدر الدين الرازيّ الحنفي (ت بعد ٦٣٠هـ)، الناشر: دار الرائد العربي –لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، المحقق: أحمد عمر المحمصاني الأزهري.

٢٩- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

٣٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الأولى -١٤٢٢ هـ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٣١- المحيط في اللغة لإسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

٣٢- مدارج السالكين في منازل السائرين لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ -٧٥١هـ)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم).

٣٣- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب –بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي.

٣٤- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المحقق: عبد السلام محمد هارون.

٣٥- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الثالثة -١٤٢٠ هـ.

٣٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٧- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨م، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي.